سياسة "الانضمام اليهم"!

من المفارقات العجيبة ان تستطيع الولايات المتحدة تحقيق انجاز دبلوماسي كالذي يتصدى له كيسنجر في الشرق الاوسط ، والحكم العلني فيها ممثلا برئيسها في حالة من الضعف ، وحلفاء اميركا في الغرب يعيشون جميعا وبدون استثناء حالة من الاضطراب السياسي .. من كندا الى المانيا الغربية .

وما من شك في ان نهج بعض الدول العربية المعنية بالموضوع ، وخاصة مصر والسعودية ، قد اعطى الولايات المتحدة فرصة ثمينة ان تحقق اكثر مما تستحق واكثر مما كانت تنتظر . والسائرون في هذا النهج ، والمدافعون عنه ، والذين يبررونه ، يقولون «ان القتال ، محدودا او شاملا ، لا بد ان يتوقف عند الحد الذي يتحول فيه الى امكانية قتال مع الولايات المتحدة . وهذا ما لا قبل للعرب به . فاذا ليس بالامكان التغلب عليهم ننضم اليهم ، كما يقول المثل الاميركي الدارج» . وهذا فيه الكثير من المبالغة في التقدير فكان فيه الكثير من المبالغة « في الانضمام اليهم » .

وهناك من يقول استطرادا ان الحاكم الاميركي الضعيف يكون اكثر استعدادا للمغامرات ، واذا تضايق كثيرا اصبح « في انيابه العطب » . وهذا من شانه ان يورط العالم بأسره .

ولكن الشواهد التاريخية تشهد بخلاف هذا الافتراض . وكل المغامرات الخارجية التي قامت بها الولايات المتحدة منذ ان اصبحت لها سياسة خارجية – اي بعد خروجها من عزلتها القارية لتصبح قوة امبريالية – من الرئيس مونرو ومبدأه الشهير .. الى ترومان والحرب الكورية .. الى كنيدي وجونسون وحرب فيتنام ، قام بها رؤساء اقوياء وفي اوضاع داخلية اكثر تماسكا مما هي عليه الآن .

ويتبين بالتالي ان سياسة « الانضمام اليهم » ليست ضرورة او حاجة بقدر ما هي رغبة او انسياق ، وان عللت تعليلا آخر . في حين كان اهل هذه السياسة ينظرون الى الصداقة الاساسية مع المعسكر الاشتراكي على انها شيء عابر وغير مرغوب . وكما ان نظرتهم الى الصداقة مع المعسكر الاشتراكي كانت خاطئة ، فان سياستهم الجديدة ، وبنفس المقاييس ، لا بد ان تكون خاطئة .

فكيف اذا بلغ التمادي حد القول بانهم « انضموا الينا » !

سليمان الفرزلي